مقابلة مع أندرو هارتمان. نشرت في "جاكوبين" في ١٨/٥/٢٠٢٥.

على مدى قرنين تقريبًا، كان لأفكار كارل ماركس تأثير كبير على السياسة والحياة الفكرية في الولايات المتحدة. بدوره، أفاد دراسة ماركس الدقيقة للولايات المتحدة في تطوير أفكاره حول الرأسمالية والحرية الإنسانية. غالبًا ما يُفترض أن النظرية الماركسية غريبة تمامًا عن التاريخ الأمريكي. ولكن عندما تقول مذكرة من مكتب إدارة الميزانية التابع لدونالد ترامب إن الموارد الفيدرالية تُهدر في تعزيز "المساواة الماركسية"، فإنه من المستحيل إنكار أن كارل ماركس يلوح في الأفق بشكل كبير في الحياة السياسية الأمريكية. سواء كان كمنارة أو كشيطان، فقد كان لماركس، الذي يصادف عيد ميلاده السابع والعشرين في 5 مايو، تأثير كبير على الولايات المتحدة على مدى القرنين الماضيين.

في كتاب "كارل ماركس في أمريكا"، يتتبع أندرو هارتمان، أستاذ التاريخ في جامعة ولاية إلينوي، حياة ماركس وما بعدها في الولايات المتحدة، بدءًا من مراسلته الواسعة مع قوات الاتحاد خلال الحرب الأهلية وصولاً إلى الانتفاضات العمالية المستوحاة من الماركسية في القرن العشرين والنمط المعاصر لليمين الذي يُعرف بـ "الماركسية الثقافية". يستكشف هارتمان تفاعل علاقة ماركس بتنظيم السياسة الأمريكية والحياة الفكرية، موضحًا كيف شكل ماركس السياسة الأمريكية وكيف عمقت دراسته القريبة للولايات المتحدة من فهمه للحرية الإنسانية.

تحاور كل من كال تيرنر وسارة فان هورن مع هارتمان لمجلة جاكوبين حول كيفية تشكيل التاريخ الأمريكي لأفكار ماركس، ولماذا يواصل الليبراليون والمحافظون إلقاء اللوم على ماركس، والطرق التي تتزايد فيها أفكار ماركس اليوم.

لماذا يعتبر هذا الكتاب مهمًا؟ ما هي السرديات السائدة حول علاقة ماركس بالولايات المتحدة، وأي من هذه السرديات لا تعكس الحقائق التاريخية؟

هناك فكرة سائدة أنه لا يمكنك الجمع بين كارل ماركس والولايات المتحدة: أن ماركس لا يمكنه أن يخبرنا بأي شيء عن التاريخ الأمريكي، وأن التاريخ الأمريكي لا يمكنه أن يخبرنا بأي شيء عن ماركس. قبل أن أبدأ هذا البحث، كنت أعلم أن هذه الفكرة خاطئة، ولكن كلما قمت بمزيد من البحث، أدركت مدى خطئها.

أريد أن أثبت أن ماركس يمكن أن يساعدنا في فهم التاريخ الأمريكي، والسياسة، والاقتصاد، واللحظة الحالية. اكتشفت أن كل من كان له قيمة في التاريخ الأمريكي منذ زمنه – من المثقفين، والنشطاء العماليّين، والسياسيين، والكتّاب، والأمريكيين العاديين – قد قرأ ماركس، وفكر في ماركس، وكتب عن ماركس، أو حاول تطبيق أفكار ماركس.

تزايد عدد الشخصيات في كتابي بشكل كبير. يجمع الجمع بين ماركس وتاريخ الولايات المتحدة شيئًا مهمًا عن كليهما.

ما هي النقاط المحورية الرئيسية في التاريخ الأمريكي فيما يتعلق بمواقف الأمريكيين تجاه ماركس؟

كانت هناك أربع فترات في التاريخ الأمريكي عندما كان الكثير من الأمريكيين يقرأون ماركس بإيجابية. كانت الفترة الأولى هي "العصر الذهبي الأول"، عندما ظهرت الأحزاب الاشتراكية الجماهيرية والأحزاب العمالية الراديكالية.

كانت الفترة الثانية هي الثلاثينيات، التي شهدت أسوأ أزمة واجهتها الرأسمالية على الإطلاق، وهي الكساد الكبير. كانت معدلات البطالة تصل إلى 30 في المئة في بعض الأوقات خلال تلك العقد. وقد شهدت ظهور ليس فقط الحزب الشيوعي الأمريكي، ولكن أيضًا العديد من الفروع للحركة الشيوعية. كان الناس يفكرون محليًا ودوليًا من خلال عدسة ماركسية.

كانت طفرة ماركس الثالثة في الستينيات. قد يكون هذا مفاجئًا، لأن الاقتصاد الأمريكي لم يكن يومًا أفضل، وكان

هناك شريحة واسعة من الناس، خاصةً البيض، الذين كانوا جزءًا من الطبقة المتوسطة. ولكن بسبب حركة الحقوق المدنية وظهور حركة يسارية متزايدة في المعارضة للحرب الأمريكية في فيتنام، كان الكثير من الناس في الستينيات يقرؤون ماركس بالإضافة إلى منظرين يساريين آخرين.

أما الطفرة الرابعة لماركس فهي الآن، منذ أزمة 2008 المالية، واحتلال وول ستريت، وحملات بيرني ساندرز. هناك زيادة في عدد الأشخاص الذين يقرؤون ماركس، ويكتبون كتبًا عنه، ويشاركون في مجموعات قراءة ماركسية، وينزلون محاضرات ديفيد هارفي حول رأس المال. من الصعب معرفة إلى أين ستذهب كل هذه الاهتمامات، ولكن في جميع الأوقات الأخرى التي كان الناس يقرأون فيها ماركس، كانت هناك طريقة معينة ساعدت بها اليسار في تغيير التاريخ.

هل هناك جوانب من تأثير ماركس على التاريخ الأمريكي تعتقد أنها ستفاجئ القراء؟

قضى ماركس عشر سنوات من حياته يكتب لصحيفة نيويورك تريبيون. في خمسينيات القرن التاسع عشر، كانت هذه هي مصدر دخله الرئيسي، بالإضافة إلى الهدايا من فريدريك إنجلز. ألّف أكثر من خمسمائة مقال لتلك الصحيفة، التي كانت في ذلك الوقت أكثر الصحف قراءة في العالم، مع 200,000 مشترك. كانت التريبيون هي الكتاب المقدس للحركة الجمهورية الناشئة والحزب الجمهوري. كان جميع المناهضين للعبودية قد قرأوا رؤية ماركس حول السياسة الأوروبية.

كما كتب ماركس بشكل موسع عن الحرب الأهلية. هرب العديد من الأشخاص الذين فروا من أوروبا بعد ثورات 1848 إلى الولايات المتحدة. بينما وصل ماركس إلى لندن، انتهى الأمر بالعديد من أصدقاء ماركس المقربين في جيش الاتحاد. كانوا مناهضين متحمسين للعبودية واعتقدوا أن الاتحاد لن يفوز في الحرب إلا إذا جعل القتال يتعلق بالإلغاء.

كان الكثير منهم يقاتلون على الجبهة الغربية على طول نهر المسيسيبي، وقد تواصل ماركس معهم.

إذا قرأت كتاباته عن الحرب، تجد أنها دقيقة جدًا. وهي متسقة مع الكثير من الدراسات التاريخية الحديثة، من حيث كونها شديدة المناهضة للعبودية وجذرها في فكرة أن أبراهام لينكولن كان عليه أن يأخذ المعركة إلى الكونفدرالية، وأنه إذا كانت الحرب تتعلق بالإلغاء، فسيفوز الاتحاد بسهولة.

اكتشفت أن اهتمام ماركس الوثيق بالحرب الأهلية الأمريكية - بحالة العمل العبودي وكيف انضم الأشخاص المستعبدون في الولايات المتحدة إلى جهد الحرب الأهلية - أقنع ماركس تمامًا أن أحد الجوانب الرئيسية للرأسمالية لم يكن فقط أن الربح يأتي من استغلال العامل، ولكن أن الحرية تتطلب أن يكون لدى البشر السيطرة على أجسادهم ووقتهم وعملهم. تشعر من ماركس أن هناك طيفًا من العمل من الحر إلى العبودية، وأن ما كان الجمهوريون يسمونه "العمل الحر" لم يكن العمل العبودي، لكنه لم يكن حرًا تمامًا أيضًا. من أجل أن يكون البشر أحرارًا بالكامل، كان يتعين على الطبقة العاملة الإطاحة بالرأسمالية.

على الرغم من أن ماركس كان قد فهم منذ زمن طويل أن الرأسمالية تُنزع إنسانية العامل، وعلى الرغم من أن ماركس والعديد من الآخرين في أوروبا والولايات المتحدة قد قارنوا منذ زمن طويل العمل بالأجر بالعمل العبودي، فإن دراسة وثيقة للعبودية في الولايات المتحدة - والأهم من ذلك، إدراك المخاطر التي واجهها الأمريكيون المستعبدون للحرية من ذلك النظام العمالي البغيض - جعلت نظرياتهم تبدو أكثر واقعية من أي وقت مضى.

استلهم ماركس من العمال المستعبدين الذين، عندما تركوا أدواتهم وهربوا من المزارع إلى خطوط الاتحاد خلال الحرب الأهلية، قاموا بما وصفه و. إي. بي. دو بوا لاحقًا بالإضراب العام. استلهم من المناهضين للعبودية ومحاربي الحرية المناهضين للعبودية الذين حملوا السلاح في الجيش الأمريكي، بما في ذلك العديد من رفاقه السابقين، "الألمان 48"، وكذلك العديد من الذين كانوا مستعبدين سابقًا. استلهم أيضًا من العمال الإنجليز الذين دعموا الاتحاد وقضايا المناهضة للعبودية حتى عندما كان ذلك يهدد مصالحهم، وهو مثال حقيقي على تضامن الطبقة العاملة الدولية. باختصار، ساعدت الحرب الأهلية الأمريكية في تحويل نظرية ماركس حول العمل إلى ممارسة.

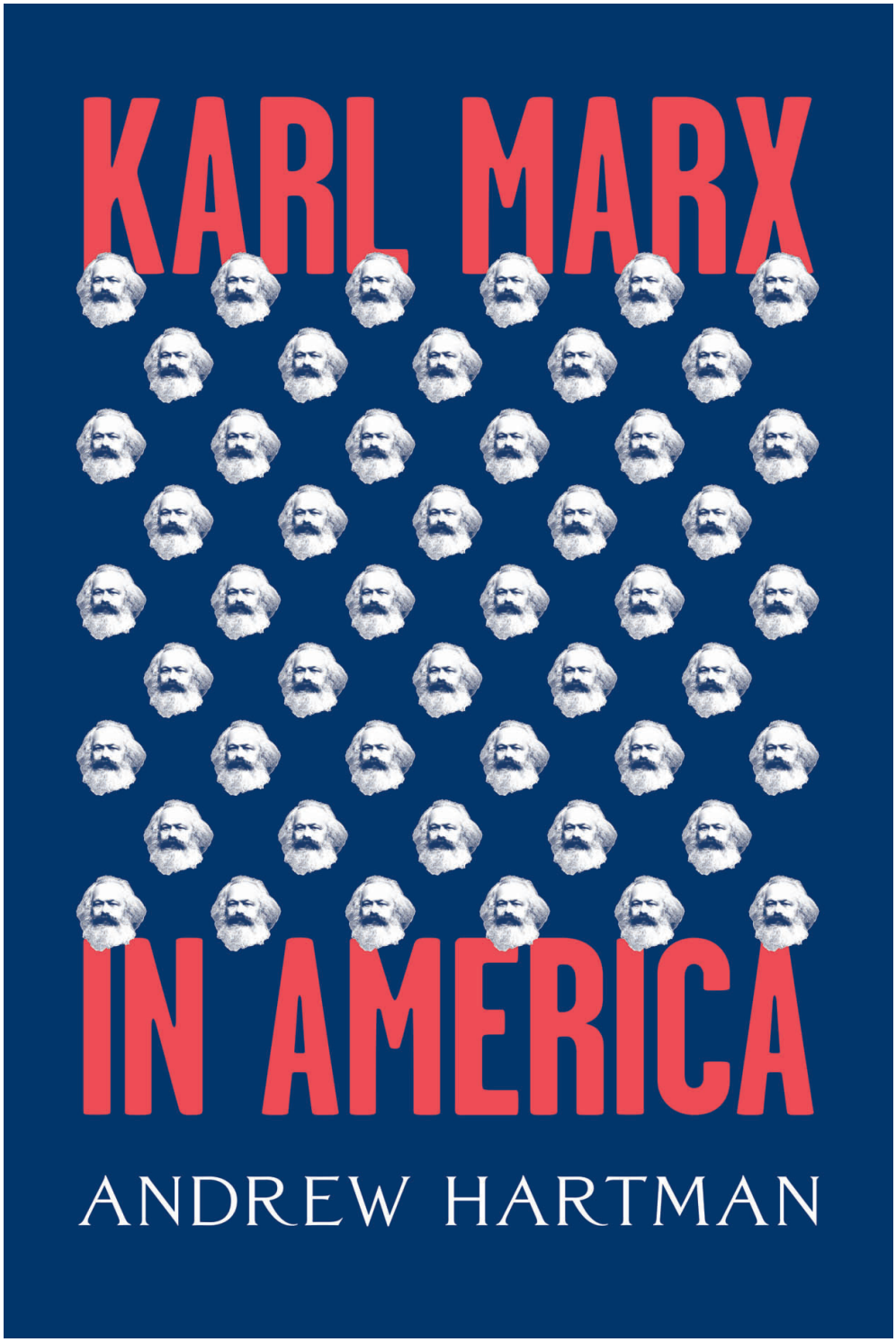
KARL MARX
IN AMERICA
ANDREW HARTMAN

أين دخلت الولايات المتحدة أيضًا في تحليل ماركس؟

قرأ ماركس الشاب مجموعة من المذكرات السفرية التي كتبها أوربيون جاءوا إلى الولايات المتحدة. من خلال قراءة تلك المذكرات، جاء ليعتقد أن الاشتراكية ستأتي إلى الولايات المتحدة أولاً، لأنه في الولايات المتحدة، كان جميع الرجال البيض، حتى العمال الفقراء، لديهم حق التصويت. إذا كان للطبقة العاملة القدرة على التصويت، فلماذا لا يصوتون من أجل الاشتراكية، التي ستمكنهم؟

على الرغم من أن ماركس لم يعارض أبدًا تلك الفرضية الأصلية، إلا أنه كلما درس الولايات المتحدة، أدرك أكثر أن الديمقراطية في الولايات المتحدة كانت محدودة جدًا. بسبب قوة رأس المال، لم تمتد إلى حياة معظم الطبقة العاملة. كانت هذه الفكرة دائمًا تؤثر على عمله: أن الديمقراطية السياسية كانت بورجوازية، بمعنى أنها قدمت غلافًا من الحرية، ولكن حتى يحصل العمال على السيطرة على وقتهم وعملهم، فلن يشعروا أبدًا حقًا بالديمقراطية بالمعنى الكامل للكلمة.

تكتب أن ثلاثة إصدارات متميزة من ماركس ظهرت في السياسة الأمريكية. هل يمكنك أن توضح لنا تلك الإصدارات؟

الإصدار الأكثر تأثيرًا لماركس في السياسة الأمريكية يتمحور حول فكرته أنه لا يمكننا أن نكون أحرارًا ككائنات إنسانية ما لم نكن نتحكم في عملنا. هذه هي الفكرة الأساسية لماركس التي يمكنك رؤيتها في الكثير من كتاباته، ولكن بشكل خاص في الفصل حول يوم العمل في "رأس المال"، الذي نُشر في شكل كتيب وتداول بين الاشتراكيين ونقابات

العمل في القرن التاسع عشر.

كانت هذه الفكرة تؤثر حقًا في حركات العمل الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. يمكنك أن ترى هذه الفكرة تعود إلى الظهور في نقاط مختلفة – على سبيل المثال، في الثلاثينيات، خلال الكساد الكبير. كانت هذه أيضًا مفتاحًا لاستقبال ماركس منذ الركود الاقتصادي لعام 2008.

الإصدار الثاني هو ماركس الهجين. منذ الحرب الأهلية، كان هناك العديد من الأمريكيين الذين قرأوا ماركس بإيجابية، كشخص يمكنهم التعلم منه، ولكن غالبًا ما يُنظر إليه من خلال عدسات أخرى: من خلال عدسة مسيحية، والتي كانت دائمًا سائدة للغاية في الولايات المتحدة، أو عدسة نسوية، أو عدسة قومية سوداء، أو عدسة شعبوية.

كان هناك لحظة في الثلاثينيات عندما كان العديد من الفلاسفة الأمريكيين المعروفين يقرؤون ماركس بشكل مكثف كوسيلة لتحسين العالم من خلال البراغماتية، وهي ربما واحدة من أهم التقاليد الفلسفية الأمريكية. كانت هناك لحظة من السبعينيات فصاعدًا حيث جمع الكثير من الناس بين ماركس والتقاليد الأصلية. الولايات المتحدة بلد كبير ومتنوعة للغاية، وفي كل نقطة تقريبًا، ترى الأمريكيين يحاولون دمج ماركس مع تقاليد سياسية أخرى.

الإصدار الثالث هو الأمريكيون الذين يقرؤون ماركس بجدية لأنهم مناهضون لماركس. يفعل الكثير من الناس ذلك: الليبراليون، وبعض الأناركيين، المجتمعيون، ولكن الأكثر انتشارًا، الليبراليون والمحافظون. عندما كانت الهيمنة الليبرالية في ذروتها في أوائل الحرب الباردة، لم تتمكن من العثور على مثقف ليبرالي لم يكن يقرأ ماركس كوسيلة لاختراع تقليد سياسي ليبرالي أمريكي. لم يتمكنوا من اختراع هذا التقليد السياسي الأمريكي دون دحض ماركس، لأن ماركس كان مهمًا جدًا في الخطاب الفكري.

ثم كان هناك المحافظون الذين تحدثوا دائمًا عن ماركس بينما لم يقرؤوه دائمًا. بعض المفكرين المحافظين الأكثر جدية أخذوا كتاباته بجدية. الآخرون يستخدمونه فقط كشيطان تقليدي، وهو أمر شائع جدًا في الوقت الحاضر. لكن هؤلاء المحافظين قرأوا وكتبوا عن ماركس ليس لدحض ماركس – كان ذلك نتيجة حتمية بالنسبة لهم – ولكن بدلاً من ذلك لأنهم مهتمون بإظهار أن الليبرالية والماركسية متشابكتان بشكل وثيق، وأن المشكلة في الليبرالية هي قربها من

الماركسية.

هل يمكنك التحدث أكثر عن ماركس ككبش فداء لكل من الأمريكيين الليبراليين والمحافظين؟ كيف يستخدم اليمين فكرة الماركسية الثقافية، على سبيل المثال؟

أحد الأشياء التي آمل أن يوضحها الكتاب هو أنه لا يوجد شيء جديد هنا. يصنف المؤرخون فترات في التاريخ الأمريكي مناهضة للشيوعية بشكل غير عقلاني على أنها "مخاوف حمراء".

تبعت المخاوف الحمراء الأولى مباشرة، الحرب العالمية الأولى وثورة البلاشفة. خلال تلك الفترة، تم ترحيل الآلاف من الناس – وهو ما يبدو مألوفًا جدًا. قد يكون هؤلاء مهاجرين، لكنهم تم ترحيلهم أيضًا بسبب معتقداتهم السياسية: ارتباطاتهم بالاشتراكية، أو الشيوعية، أو الماركسية، أو الأناركية، وأشهرهم إما غولدمان. تم احتجاز الآلاف الآخرين ووضعهم في السجون. تم إعدام البعض أو إعدامهم من قبل رجال الميليشيات. يخاف الكثير من الناس بحق من لحظتنا السياسية الحالية، لكن هذا ليس جديدًا.

ما يسميه المؤرخون "المخاوف الحمراء الثانية" – المكارثية خلال أوائل الحرب الباردة – حدثت على نطاق أوسع. فقد خسر عشرات، وربما مئات الآلاف من الناس وظائفهم. ذهب الكثير من الناس إلى السجن إذا كان هناك أي فكرة أنهم كانوا يومًا أعضاء في الحزب الشيوعي أو مرتبطين بالشيوعية. فقد الآلاف من الموظفين الفيدراليين وظائفهم لأنهم كانوا مثليين، لأنه في ذلك الوقت لم يكن يمكنك أن تكون خارج الخزانة ولديك وظيفة. لذلك كان البيروقراطيون الصغار الذين يعملون في الحكومة الفيدرالية ينظرون إلى شخص ما ويقولون: "هذا هدف رئيسي للابتزاز". كان ماركس دائمًا مرتبطًا بهذه المخاوف الحمراء.

في كل نقطة تقريبًا، ترى الأمريكيين يحاولون دمج ماركس مع تقاليد سياسية أخرى.

نحن نعيش في شيء مشابه الآن. في العشرين عامًا الماضية، كل ما يكرهه اليمين، مثل نظرية العرق النقدي، يُصنف على أنه ماركسي، على الرغم من أنه ليس ماركسيًا. يُصنف الصفقة الجديدة الخضراء على أنها ماركسية، على الرغم من أنها مشروع اجتماعي ديمقراطي أساسًا. تستمر القائمة، وقد أصبح الأمر سيئًا إلى حد أن ترامب نفسه يتحدث باستمرار عن الماركسيين. يتحدث عن البيروقراطيين الماركسيين في الجامعات.

هناك افتراض واسع النطاق بين اليمين بأن كونك ماركسيًا يعني أنك ضد أمريكا. يمكن أن يؤدي ذلك إلى أشكال مختلفة من القمع السياسي ضد ليس فقط الماركسيين، ولكن أي شخص يمكن تصنيفه بهذه الطريقة.

تكتب أننا حاليًا في "طفرة ماركس". ماذا يعني ذلك؟ هل هناك دروس محددة من ماركس أو ماركسيين آخرين قد تكون مفيدة؟

هذا سؤال المليار دولار. حوالي الوقت الذي حدث فيه احتلال وول ستريت، كان هناك الكثير من الشباب الذين طوروا ما كان يعرف بالاشتراكية الميلينية – بما في ذلك الأشخاص الذين أنشأوا مجلة جاكوبين – الذين أعادوا اهتمامهم بكيفية تفسير ماركس للعالم الحالي ومساعدتنا على تجاوز الجحيم النيوليبرالي والانتقال إلى شيء أفضل. جاءت بعض تلك السياسات من حملة بيرني ساندرز.

هناك اهتمام مستمر بمؤلفات ماركس. لقد قرأت على الأرجح خمسة عشر كتابًا نُشرت مؤخرًا عن ماركس في العقد الماضي، وإذا كان هناك موضوع في هذه الكتب، فهو موضوع الحرية. نحن نعود إلى تلك الفكرة الأساسية لماركس في الولايات المتحدة، عائدين إلى الحرب الأهلية، وهي أن العمل من أجل العيش في الرأسمالية المعاصرة – التي ليست بعيدة عن الرأسمالية في أواخر القرن التاسع عشر – هو وجود مُنفصل، مُستغل بشكل عميق لمعظم الناس. ويبدو أن الأمر يزداد سوءًا. من الصعب جدًا الادعاء أننا أناس أحرار، أننا ننجح، وأننا نعيش وفق كامل إمكاناتنا في هذا

السياق.

لقد لجأ الكثير من الناس إلى ماركس لفهم ما هو في الرأسمالية الذي يجعلنا غير أحرار. والإجابة التي أثبتت جدواها في السؤال إلى أين ننطلق من هنا: هي تنظيم العمل. أخيرًا، تشكل اتحاد أعضاء هيئة التدريس الخاص بي منذ عامين، ولدينا عقد، ولدينا الكثير من القوة والاستقلالية على حياتنا العملية الآن بفضل ذلك. هذه هي مجرد نقطة انطلاق. يجب على الملايين من الناس العثور على هذه النقاط الانطلاق التي يمكنهم العمل منها.

الكاتب: رمان الثقافية